من مواضع الخلط بين الأخافش النحاة

للدكتور محمود حسني محمود
(الجامعة الاردنية)

لا شك في ان البحث في اسفر الامور كالبحث في اعقابها وابتدائها ، وان العناء الذي يجب ان يبذل عند التصدي لاي قضية فكرية لا بد ان يكون واحدا وان الحرص على الحقيقة والتحذر من الزلل لا بد ان يلازما الباحث من بداية بحثه حتى نهايته . فقد يقع الخلط في الامور التي يظن انها واضحة الوضوح كله ، وقد يتتابع الخلل في المنتاج الذي ويُتناقل من مؤلف الى مؤلف ، فتتداخل الامور وتلتبس الحقيقة ، ويصبح الشيء غيره ، والضد ضده ، فيلف المعارف الانسانية ابهام وغموض يصعب محوه وازالته .

وفي هذا البحث سأحاول ان اجلي امرا التبس على الباحثين في الماضي والحاضر فخلطوا بين العلماء الذين اشتركوا في لقب « الاخفش » ونسبوا الى احدهم ما للآخر .

ولقد تتبعت الامر ، فوجدت الخلط قديما قدم الاخافش ، واستمر دون توقف فتفشى في الكتب الحديثة كما تفشى في القديمة ، مع ان التمييز بين هؤلاء ليس عسيرا على الباحث المتأني الواعي . ومع ان معرفة احد الاخافش من غيره لا تحتاج الى كبير عناء الا ان

الذي جاء الدكتور ابرهيم السامرائي يلوم محقق امالي الزجاجي لتعريفه الاخفش الاوسط في الحاشية بقوله : « لم (١) يعن المحقق من كل هذا الا بترجمة « الاخفش » في حاشيته ليقول لنا انه سعيد بن مسعدة ، كأنه حسب ان القارىء يذهب فهمه الى « الاخافش » الآخرين ، ومنهم الاكبر والاصغر وغيرهما ؟ وكل هذا معروف يعرفه الشداة الذين مرنوا على قراءة الكتب اللغوية القديمة . والتعريف بالاخفش وأمثاله هو من باب التعريف بالمشاهير ، وانما ينبغي ان توفر الحاشية لغيرهم من الاعلام الذين لا يعرفهم الكثير من الدارسين » .

ومع انني اتفق مع الدكتور السامرائي واحترم رايه في ان الاخفش الاوسط مشهور ومعروف الا انني ارى — ويرى كل من يلمس نفسي الخالط الالبس — ان يميز الاخفش المذكور من غيره حين يرد في احد المتون .

والاخافش — حسب ما وصل الينا من كتب التراجم والطبقات — خمسة عشر عالما ذكر (٢) السيوطي منهم احد عشر ، وذكر (٣) ابن حجر واحدا ، وذكر صاحب تاج العروس (٤) واحدا ، وذكر صاحب « البدر الطالع » (٥) واحدا . وذكر صاحب « دائرة المعارف » (٦) — فؤاد — واحدا . الا ان الاخافش المشهورين — من بين هؤلاء — ثلاثة يعرفون بالاكبر والاوسط والاصغر .

---

(١) مجلة مجمع اللغة العربية الاردني — العدد المزدوج ١١ — ١٢ ص ٩٦ من مقال: مع تحقيق كتب التراث ص ٩٢

(٢) انظر : بغية الوعاة ٢/٣٨٩

(٣) انظر : لسان الميزان ٢ /٢١٣

(٤) انظر : ج٤/٢٠٤

(٥) انظر : ١/٢٩٦

(٦) انظر : ٧/٢٨

والاكبر (٧) هو ابو الخطاب عبد الحميد بن عبد المجيد ، من اوائل ائمة اللغة والنحو ، له الفاظ لغوية انفرد بنقلها عن العرب ، اخذ عن ابي عمرو بن العلاء واخذ عنه يونس ، وسيبويه ، وابو عبيدة .

اما الاوسط (٨) فهو اشهر الاخافش جميعا ، وهو ابو الحسن سعيد بن مسعدة ، كان الطريق الى كتاب سيبويه ، تلميذ عالم اللغة والجرمي وعلماء كثيرون ، وألف كتبا عديدة في مختلف علوم عصره ، من اشهرها « معاني القرآن » (٩) « القوافي » (١٠) « الاوسط » في النحو ، « المقاييس » في النحو ، « المسائل الصغير » . ولقد ترسم الاخفش هذا على عرش العروض بعد الخليل بايجاد بحر « المتدارك » ولتصبح بحور الشعر ستة عشر بحرا بعد أن كانت زمن الخليل خمسة عشر . وتوفي سنة ٢١٥ هـ .

اما الاصغر (١١) فهو أبو الحسن علي بن سليمان تلميذ المبرد وثعلب ، وصاحب كتاب « الانواء » و « التثنية والجمع » و « المسائل » وشرح كتاب سيبويه . وتوفي سنة ٣١٥ هـ .

ولعل اول خلط ذلك الذي وقع فيه ابو الطيب اللغوي ، والطريف انه حدث في الموضع الذي كان يتحدث فيه عن الخلط بين

---

(٧) انظر ترجمته في مراتب النحويين ص ٥٣ . طبقات النحويين واللغويين ص ٥٠ . نزهة الالباء : ص ٤٣ (تحقيق ابو فاضل ابرهيم) . انباه الرواة ٢/١٥٧ . بروكلمان ١/١٢١ . مدرسة البصرة ص ٤٦٤ .

(٨) أنظر ترجمته في : أخبار النحويين البصريين ص ٥٠ الفهرست ٨٦ معجم الادباء ١١/٢٢٤ المدارس النحوية ص ٩٤ .

(٩) وهو محقق في جزأين تحقيق د. فايز فارس ١٩٧٦م .

(١٠) وهو محقق تحقيق د. عزت حسن دمشق ١٩٧٠م .

(١١) أنظر ترجمته في : طبقات النحويين واللغويين ص ١٢٥ نزهة الالباء ص ١٥٥ (تحقيق د.ابرهيم السامرائي) انباه الرواه ٢/٢٧٦.

العلماء ، قال : (١٢) « . . . حتى ان كثيرا من اهل دهرنا لا يفرقون بين ابي عبيدة وابي عبيد ، وبين الشيء المنسوب الى ابي سعيد الاصمعي او ابي سعيد السكري او ابي سعيد الضرير . ويحكون المسألة عن الاحمر : فلا يدرون اهو الاحمر البصري ، او الاحمر الكوفي . ولا يصلون الى العلم بمزية ما بين ابي عمرو بن العلاء ، وابي عمرو الشيباني ، ولا يفصلون بين ابي عمر عيسى بن عمر الثقفي وبين ابي عمر صالح بن اسحاق الجرمي ، ويقولون : « قال الاخفش » ولا يفرقون بين ابي الخطاب الاخفش وابي الحسن سعيد بن مسعدة الاخفش البصريين ، وبين ابي الحسن علي بن المبارك الاخفش الكوفي ، وابي الحسن علي بن سليمان الاخفش بالاس صاحب محمد بن يزيد ، واحمد ابن يحيى ، وحتى يظن قوم : ان القاسم بن سلام البغدادي ، ومحمد بن سلام الجمحي صاحب الطبقات اخوان » .

[illegible] خليل ابو الطيب عند قوله : « ابي الحسن علي بن المبارك الاخفش الكوفي » فليس ابن المبارك هذا باخفش ، وانما هو احد الاحمرين ، اذ ان كتب التراجم كلها تكاد تجمع على انه مشهور بالاحمر ، ترجم له صاحب « طبقات النحويين » بقوله (١٣) : «هو علي بن المبارك الاحمر ، وكان مؤدب محمد بن هارون الامين » وترجم له صاحب « نزهة الالباء » بقوله (١٤) : « واما علي بن المبارك الاحمر صاحب الكسائي فانه اول من دون عن الكسائي ، قال الفراء : ابن الكسائي فاذا الاحمر عنده ، وقد بقل وجهه . ثم برز حتى كان الفراء يأخذ عنه ، وكان يؤدب الامين ، وكان مشهورا بالنحو واتساع الحفظ » .

---

١٢ ، مراتب النحويين ص ١ ـ ٢ .

١٣ ، ص ١٠٢

١٤ ، ص ٩٧ ، تحقيق ابو الفضل ابراهيم .

وترجم لـــه صاحب « انباه الرواة » بقوله (١٥) : « علي بن المبارك الاحمر النحوي صاحب علي بن حمزة الكسائي كـــان مؤدب الامين ، وهو الـــذي من اشتهر بالتقدم في النحـــو واتساع الحفظ ، وجرت بينه وبين سيبويه مناظرة لمـــا قدم بغداد » ولم يورد واحـــد من هؤلاء عالما اخر بهـــذا الاسم ملقبـــا بالاخفش الكوفي .

هـــذا اولا واما ثانيا : فان ابـــا الطيب اللغوي اعاد ذكر « الاخفش » هذا مـــرة اخرى في ترجمة عبد الله بن سعيد الاموي فقـــال : « وكـــان طبقته ابو الحسن علي بن المبـــارك الاخفش الكوفي » وذكر انهما كانا في عصر الفراء ، والمعروف ان الاحمر هـــو الذي كان في عصر الفراء اذ كان الاثنان تلميذين للكسائي ، ولا اعرف احـــدا من الكوفيين يوصف بانه عالـــم كوفي في عصر الفراء ملقب بالاخفش وانمـــا اللقـــب البصري والمعروف هو الاحمـــر ليس غير .

واما ثالثا فوصف ابي العباس ثعلب الكوفي لعلي بن المبـــارك هذا بالاحمر لا بالاخفش قـــال صاحب الانباه (١٦) : قـــال ابو العباس احمـــد بن يحيى : كان علي بـــن المبارك الاحمر مؤدب الامين يحفظ اربعين الف بيـــت شاهد في النحو سوى ما كان يحفظ من القصائـــد وابيات الغريب ، ولمـــا احضر سيبويه في دار يحيى بن خالد البرمكي لمناظرة الكسائي حضر الاحمـــر قبل حضور الكسائي . فالقى الاحمر على سيبويه مسألة فأجاب فيها ، فقال لـــه الاحمر : اخطأت . والقى عليـــه اخرى ، فأجاب . فقال لـــه : اخطأت — وكان الاحمر حاذا حاذقا — فغضب سيبويه فقال لـــه الفراء : ان معه عجلة . وانذ الفراء فـــي الكلام مع سيبويـــه » .

---

(١٥) ٢١٣/٢

(١٦) انباه الرواة ٢١٤/٢

فمن اثبت من ابي العباس ثعلب ومن ادق منه في ذكر اعلام الكوفيين ممن عاصروا الكسائي والفراء ؟! ومن اعلم منه في القاب هؤلاء الاعلام ؟! فهو الذي كان يفاخر بهم دائما ، ويكرر اقوالهم وآراءهم امام البصريين عند مناظراته اياهم .

ولم يتبن هذا الخلط الذي وقع فيه ابو الطيب الا السيوطي الذي كرر الكلام نفسه عند الحديث عن ابي محمد عبد الله بن سعيد الثوي ، قال (١٧) : « وفي طبقته ابو الحسن علي بن المبارك الاخفش الكوفي » ويخيل الي ان السيوطي لم يتحقق من الامر وام يتروّ ، وانما كان ينقل نقلا تاركا المسؤولية على من ينقل عنه . وهذا الامر جعله يقع فريسة الاضطراب الشديد فمع انه لقب ابن المبارك المذكور بالاخفش ، الا انه حين ذكر الاحد عشر اخفش لم يذكره معهم قال (١٨) : « الاخفش احد عشر ، اشهرهم ثلاثة : الاكبر عبد الحميد بن عبد المجيد والاوسط سعيد بن مسعدة . والاصغر : علي بن سليمان . والرابع : احمد بن عمران . والخامس : احمد بن محمد الموصلي . والسادس : خلف بن عمر . والسابع : عبد الله بن محمد . والثامن : عبد العزيز بن احمد . والتاسع : علي بن محمد المغربي . والعاشر : علي بن اسماعيل الغاطمي . والحادي عشر : هرون بن موسى بن شريك » .

وحين ترجم للاحمر لم يزد على قوله عنه (١٩) : وممن اخذ عن الكسائي ابو علي الاحمر ولكنه حين عدد من لقب بالاحمر قال (٢٠) : « . . . اربعة اشهرهم اثنان : خلف البصري وعلي بن الحسن الكوفي . والثالث : ابان بن عثمان اللؤلؤي ، والرابع : ابو عمرو الشيباني

---

(١٧) البغية ٢/٢١١

(١٨) بغية الوعاة ٢/٢٨٩

(١٩) البغية ٢/٢١٠

(٢٠) بغية الوعاة ٢/٢٨١

اسحاق بن مرار » فكيف تكون كنيـة الاصغر ابا علي وابـوه علـي في الوقـت نفسـه .

ومـن خلط بين الاخفش الاوسط والاصغر ابن الطيب في شرح الاقتراح، فقـد رأى ان كنية « ابي الحسن » خاصة بالاصغر علي بن سليمان ، والاثنـان يشتركان بهذه الكنية « وهـو وهـم » (٢١) ذلك ان هـذه الكنية خاصـة بالاخفش الاوسط ليس غـير ، وهـي خاصة بـه في كتاب الخصائص علـى الاطـلاق ، فهذا ابن جني يقـول (٢٢) : « على أن ابـا الحسن قد كان سئل عن شيء من المقاييس كثيبـا اذا انت قرنته بكتابنا هذا علمت بذلك انا لم نخله منه فيه ، وكفيناه كلفة التعب بـه ، وكافأناه على لطيف ما اولانا من علومه المسوقة الينا المفيضة مـاء البشر والبشاشة علينا ، مع ما في ذلك انواعا نزرت من معرفـة حقائق هذا العلم حتلوناهم ، وقاصرت عن ادراكه اقدامهم الى الطعن عليه ، والقدح في احتجاجاته وعلله ، ومتى ذلك مشروحا في الفصول باذن اللـه تعالى » .

ومـن خلط بين الاكبر والاوسط اليمني فقد غلطه (٢٣) صاحب انبـاه الرواة وادعى انـه قال عن الاكبر انـه الاوسط ، دون ان يتمكن من التمييز بينهمـا .

ومـا خلط الباحثون فيه فنسبوه الى الاكبر وهو للاوسط اراجيز تفسير الشعر تحت كل بيـت ، ولعل اول من وقع في ذلك السيوطي حين قال في ترجمة الاكبر (٢٤) : « وابـو الخطاب المذكور اول من فسر الشعر تحت كل بيت ومـا كان الناس يعرفون ذلك قبلـه ، وانما كانوا

---

(٢١) وهو رأي الاستاذ محمد النجار انظر الخصائص ج ١ /٢ (المقدمة)

(٢٢) الخصائص : ٢/١

(٢٣) ١٥٨/٢

(٢٤) المزهـر ٤٠٠/٢

اذا فرغوا من القصيدة فسروها » . وتبعه في ذلك بروكلمان بقوله (٢٥) : « الاخفش الاكبر وهو ابو الخطاب عبد الحميد بن عبد المجيد ... وكان اول من كتب تفسير الاشعار بين السطور » . والاستاذ علي النجدي ناصف بقوله (٢٦) : « وهو اول من فسر الشعر بيتا بيتا بعقب كل بيت تفسيره ، وكان الناس قبله اذا فرغوا من القصيدة فسروها جملة ، واخذ عنه الكسائي ويونس وابو عبيدة وسيبويه ، وكان ثقة ورعا دينا » . والدكتور حسين نصار بقوله (٢٧) : « ولم يكن تأليف دواوين الشعراء او القبائل مجرد جمع للشعر حسب ، بل كان جمعا وشرحا وسار هذا الشرح في طريقين الاول جمع القصيدة وتفسيرها بعد ايراد ابياتها باجمعها ، وبقي هذا متبعا الى ان جاء ابو الخطاب عبد الحميد بن عبد المجيد الاخفش الاكبر (وهو من تلاميذ ابي عمرو بن العلاء) فابتدع طريقة جديدة في الشرح ففسر الشعر تحت كل بيت » ، يقول السيوطي : وهو اول من فسر الشعر تحت كل بيت ، وما كان الناس يعرفون ذلك قبله ، وانما كانوا اذا فرغوا من القصيدة فسروها » .

وقد اوغل في هذا الخلط د. عبد الامير الورد حين نسب هذا (٢٨) العمل وهو تفسير كل بيت تحته الى « ابي عبد الله (٢٩) محمد بن

---

(٢٥) تاريخ الادب العربي ٢/١٥١

(٢٦) سيبويه امام النحاة : ص ٩٠

(٢٧) المعجم العربي : ص ٢١

(٢٨) تقديم الاخفش الاوسط في الدراسة النحوية ص ٢٣

(٢٩) هكذا اورد د. الورد هذه الكنية والصحيح : « ابو محمد عبد الله » وعبد الله اسم الاخفش هذا . قال الزجاجي : « وللبغداديين عبد الله بن محمد البغدادي الاخفش احد من روى الشعر وقد اخذ عنه ابن السكيت والطوسي ». (مجالس العلماء : ص١٦٣) . وقال السيوطي : « عبد الله بن محمد البغدادي ابو محمد يعرف بالاخفش وهو خامس الاخفشين المذكورين هنا » (بغية الوعاة : ٢/٦٢). وانظر تقديم د. رمضان عبد التواب كتاب الحروف لابن السكيت .

عبد الله البغدادي الاخفش النحوي ، والغريب عنده ... الورد انه انتزع الخبر المتعلق بهذا العمل من ترجمة الاخفش الاوسط الوارد في « طبقات النحويين » و « انباه الرواة » كما سيرد بعد قليل ووضعه في ترجمة الاخفش هذا حين ترجم للأخافش .

واستبعد ان يكون الاخفش الاكبر هو اول من فسر كل بيت من الشعر تحته لان من ينسب اليه هذا العمل لا بد ان يكون وألفا كتابا واحدا على الاقل ، ولم يعرف عن الاكبر انه الف كتابا واحدا في اللغة والادب وانما كان الرجل يسأل عن الغامض فيجيب ، وقد روى عنه سيبويه في كتابه سبعا واربعين مرة (٢٠) و « كل ما يروى عنه نصوص ومفردات » .

وارى في الوقت نفسه ان الاخفش الاوسط هو اول من سن هذا العمل وهو المعني بذلك لانه الف مجموعة كبيرة من الكتب ... تكشف بعضا منها آنفا ... وهي في مجال اللغة والشعر والادب ، وعلى الرغم من ان كتابيه المحققين ... واللذين اشرت الى تحقيقهما في الحاشية قبل صفحات ... لا يشتملان على هذه السنة الا ان المجال يبقى فسيحا لهذا الموقف ... الذي اتبناه ... في كتبه الضائعة وكتبه التي لم تحقق بعد . ولعل ما يقوي الذي ذهبت اليه قولة ابي العباس تعلب التي اوردها صاحب « طبقات النحويين واللغويين » وصاحب « انباه الرواة » وهي (٢١) : « اول من املى غريب كل بيت من الشعر تحته الاخفش ... وكان ببغداد ... وكان الطوسي مستمليه ، وقال : ولم اسمه لانه كان قبل عصرنا ، وكان يقال له الاخفش الراوية » . وقد اوردا بعض الرواية في ترجمة الاخفش الاوسط سعيد بن مسعدة . ولكن لا بد

---

(٢٠) سيبويه امام النحاة ص ٦٠

(٢١) طبقات النحويين واللغويين : ص٧٦، انباه الرواة : ٢/٣٦.

يقال : ان هذين المؤلفين خلطا في الامر فوصفا هذه الرواية في ترجمة الاوسط وكان الاولى ان توضع في ترجمة الاكبر ، فان من السهل القول : ان في هذه الرواية عدة مؤشرات تدل على ان ثعلبا كان يعني الاوسط لا الاكبر اولها قوله « وكان ببغداد » ولم يعرف عن الاكبر انه جاء بغداد وانما الذي جاء بغداد هو الاخفش الاوسط ، جاءها لينتقم من الكسائي بعد المناظرة المشهورة التي دارت بين سيبويه والكوفيين .

وثانيا : قوله « ولم ادركه لانه كان قبل عصرنا » فهذا القول يفهم منه أن ثعلبا كان في فترة ليست بالبعيدة عن تلك التي عاشها الاخفش ، ولكن ثعلبا لم يقدر له ان يلحق به ، والا لما قال « ولم ادركه » ويظن أن الاخفش الاكبر توفي (٢٢) سنة ١٧٧ هـ ، بينما توفي (٢٣) الاخفش الاوسط سنة ٢١٥ هـ وذلك بعد الفراء الذي توفي (٢٤) سنة ٢٠٧ هـ ، وتوفي (٢٥) ثعلب سنة ٢٩١ هـ وكان بالغا (٢٦) سنة ٢٠٠ هـ ، اي كان عمره عند وفاة الاخفش الاوسط خمسة عشر عاما ، ولكنه مع ذلك كله لا يعد من عصره او من جيله وبالتالي فلم يتمكن من ادراكه والتتلمذ عليه ، اذ كان يقول (٢٧) : طلبت العربية واللغة في سنة ٢١٦ هـ » .

وثالثا قوله : « وكان يقال له الاخفش الراوية » والاخفش الاوسط كان راوية فعلا ، فقد روى (٢٨) كتاب سيبويه ، وكان الطريق

---

(٢٢) تاريخ الادب العربي : ٣/١٥١

(٢٣) اخبار طبقات النحويين البصريين : ص ٥١

(٢٤) نزهة الالباء : ص ١٧٦ (تحقيق د. ابرهيم السامرائي)

٢٥) طبقات النحويين واللغويين ص١٦٠ وانظر مقدمة مجالس ثعلب للمحقق

(٢٦) انباه الرواة : ١/١٣٩

(٢٧) انباه الرواة : ١/١٣٩

(٢٨) نزهة الالباء ص ١٢٣ (تحقيق ابو الفضل ابرهيم)

الوحيد اليـــه ، وهو الذي نشره بين الناس من خلال المازني والعرجي . وكذلك فقد كـــان يروي اشعار العرب ولختهـــم في كتبه .

بالاضافة الى ذلك كلـــه فان ثعلبا كان يعتني عناية فائقة بالحديث عن الاخفش الاوسط للعلاقة الوثيقة التي كانت بين هـــذا العالم والكوفيين ولذلك فقد كان ثعلـــب يتحدث عنه كثيرا مظهرا الاحترام لـــه والاكبار وكان يقول عنـــه (٣٩) « كان اوسع الناس علمـــا » .

ولـــولا هذه الاشارات جميعها التي استعنت بهـــا للقول ان الاخفش الاوسط هـــو اول من وضع تفسير كل بيت من الشعر فعلته لذهبت ـــ ولـــن اذهب الى ذلك ـــ الى ان اول من عمل ذلك الاخفش الاصغر علي بن سليمان ، فقـــد وجدته يلتزم بهذا الاسلوب في كتابه « الاختيارين » ولا يحيـــد عنه . ولعل المناسب في هذا المجـــال ان اتبع بيت الشاعر امثلة سريعة لذلك . يقـــول في شرح قصيدة علقمة بن عبدة التميمـــي (٤٠) .

ذهبت من الهجران في غير مذهـــب ولـــم يك حقا كل هذا التجنب

ويروى « طول هذا التجنب » يقول : لـــم يكن من الحق ان تذهبي عني كل التجنب كله ، ولـــم آت ذنبا ، استحققت بـــه ذلك التجنب ، ومثل انمـــا خاطب نفسه بذلك ، وعاتبهـــا :

لليلـــي فـــلا تبلى نصيحة بيننـــا ليالـــي حلـــوا بالستار فغربوا

يعنـــي : فليست تبلى نصيحة بيننـــا ، ويروي : « ليالي لا تبلى نصيحة بيننا » و « حلـــو » : نزلوا ، و « الستار وغرب » موضعـــان » .

---

(٣٩) انباه الرواة : ٤٠/٢

(٤٠) الاختيارين ص ٤٧

ويقـــول (٤١) في قصيدة دجاجة بن عبد القيس :

فجـــرد ملاق البنـــا وحاجـــــب وذو الكير يدعو : يالحنظلة اركبوا

قـــال : « ملاق وحاجب » ابنـــا عبد الله بن همام بن رباح بن يربوع . و « ذو الكـــير » الحارث بن بيبة بن قرط سفيان بـــن مجاشع .

ومنـــا رقيـــب جالس في علايـــة مـــن الارض راب طرفه يتقلـــب

ويروي : « بأرض فضاء ، طرفـــه يتقلب » . قـــال : و « الرقيب » : الذي يوبـــأ القوم فوق رابية ينظر : هل يأتيهم عدوهم ، ومن اين يأتيهم . و « علايـــة » : مكان عال . و « ارض فضاء » اي : واسعة ، وقولـــه « طرفه يتقلب » اي : ينظر ههنا وههنـــا » .

واصـــل ابرز ما يثير الاستغراب في قضية الخلط بيـــن الاخفش الذي وقـــع فيه محقق « اعراب القرآن المنسوب الى الزجـــاج » ، فقـــد نسب في الفهرس المخصص للاعلام في نهايـــة هذا الكتاب الى ابي الحسن الاخفش الاصغر كل مـــا ورد في الكتاب منسوبا الـــى « الاخفش » او « ابي الحسن » او « ابي الحسن الاخفش » ظنا منه انـــه الامر بذلك بينما الامر حقيقة في هذا كلـــه ـــ وهو كثير جدا ـــ ابـــو الحسن الاخفش الاوسط سعيد بن مسعدة . ولـــن احاول ان اطيل من مناقشة هذه المسألة اجتهادية ، وانما سأحاول ان ارد بعض نصوص « اعراب القرآن » المتعلقة بهذا الامـــر الى « معاني القرآن » الذي الفـــه الاخفش الاوسط والذي حقق سنـــة ١٩٧٩م .

فقـــد نسب المحقق الى الاخفش الاصغر مـــا ورد في « اعرابه القرآن » حول زيادة « من » وهـــو (٤٢) : « فأما قوله تعالى (٤٣) (وينزل

---

(٤١) حمـــى ٦٨٧

(٤٢) اعراب القرآن ١٧

(٤٣) النور آية ٤٣

من السماء من جبال فيها من برد) فان ابا الحسن ذكر ان التقدير : وينزل من السماء جبالا فيها بسرد » . وهذا القول لابي الحسن الاخفش الاوسط الذي قال (٤٤) : « قسال (٤٥) (كلوا مما امسكن عليكم) المعنى « من » كما ادخله في قولسه : كان من حديث ، و (قد كان من مطر) وقولسه (٤٦) : (ويكفر عنكم من سيئاتكم) و (ينزل من السماء من جبسال فيها من بسرد) وهو فيما فسر : ينزل من السماء جبالا فيهسا بسرد . وقسال بعضهم : « وينزل من السماء من جبال فيها من بسرد » اي في السماء جبال من بسرد ، اي يجعل الجبال من برد في السماء ، ويجعسل الانزال منهسا » .

ونسب اليسه ما ورد فيه حول زيادة « من » ايضا (٤٧) : « انهسا الثاني دخولها على خبسر المبتدا في موضع ، في قول ابي الحسن الاخفش ، وهو قوله (٤٨) : (جزاء سيئة بمثلها) زعسم ان المعنى : جزاء سيئسة مثلها ، وكانه استدل على ذلك بالآيسة الاخرى ، وهو قوله (٤٩) (وجزاء سيئة سيئة مثلها) » . وهذا للأخفش الاوسط الذي قسال (٥٠) : « وقال (جزاء سيئة بمثلها) وزيدت الباء كما زيدت في قولك : بحسبك ان تقول المسوء » .

---

(٤٤) معاني القرآن ٢٥٤/١

(٤٥) المائدة آية ٤

(٤٦) البقرة آية ٢٧١

(٤٧) امراب القرآن ٦٨٨

(٤٨) يونس آية ٢٧

(٤٩) الشورى آية ٤٠

(٥٠) معاني القرآن ٢٤٢/٢

ونسب اليه ما ورد فيه حول سورة الناس (٥١) : « ومن ذلك ما قاله أبو الحسن في قول الله تعالى (٥٢) (من شر الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس) اي : انه اراد من شر الوسواس الخناس من الجنة والناس الذي يوسوس في صدور الناس » . وهذا للاخفش الاوسط الذي قال (٥٣) : « وقوله (من الجنة والناس) يريد : من شر الوسواس من الجنة والناس . والجنة هم الجن » .

ونسب اليه ما ورد فيه حول حذف (او) (٥٤) « ومن ذلك قوله تعالى (٥٥) : (قم الليل الا قليلا ، نصفه او انقص منه قليلا ، او زد عليه) .. وقال الاخفش المعني : او نصفه او زد عليه قليلا ، لان العرب قد تكلم بغير او ، يقولون : اعط زيدا درهما درهمين او ثلاثة » وهذا الاخفش الاوسط الذي قال (٥٦) : « وقوله (قم الليل الا قليلا نصفه او انقص منه قليلا ، او زد عليه) فقال السائل عن هذا : قد قال : « قم الليل الا قليلا » فكيف قال « نصفه » ؟ انما المعني : او نصفه او زد عليه ، لان ما يكون في معنى تكلم به العرب بغير « او » تقول : اعطه درهما درهمين ثلاثة تريد : او : درهمين او ثلاثة .

ونسب اليه ما ورد فيه حول حذف الفاء (٥٧) : « ويجوز على قياس قول ابي الحسن في قوله (٥٨) (الوصية للوالدين) من ان المعني :

---

(٥١) اعراب القرآن ٦٨٢

(٥٢) الناس آية ٤ ـ ٦

(٥٣) معاني القرآن ٢/٥٥٠

(٥٤) اعراب القرآن ٧٠٤

(٥٥) المزمل آية ٢ ، ٣ ، ٤

(٥٦) معاني القرآن ٢/٥١٢

(٥٧) اعراب القرآن ٧٨٠

(٥٨) البقرة ١٨٠

فالوصية ، ان يكون جـزاء ، ويقدر حذف الفـاء » . وهذا القـول للاخفش الاوسط الذي قـال (٥٩) : « وقـال : (ان ترك خيرا الوصية للوالدين والاقربين) فالوصية على الاستئناف ، كأنه — والله اعلـم — : ان ترك خيرا فالوصية للوالدين والاقربين بالمعروف حقـا » .

ونسب اليـه ما ورد فيه حول المال (٦٠) : « وقد قال ابو الحسن في قولـه (٦١) : (وما لنا الا نقاتل في سبيل اللـه) (٦٢) (وما لكم الا تأكلوا) ان المعنى : وما لكـم في ان لا تأكلوا وانه في موضوع المال » . وهذا القول للاخفش الاوسط الذي قـال (٦٣) : وقـال : وما لكم الا تأكلوا مما ذكر اسم اللـه عليه) يقول — والله اعلـم — وأي شيء لكم في الا تأكلوا ؟ وكذلك : (ما لنا الا نقاتل) يقـول : أي شيء لنا في ترك القتال ؟ ولـو كانت « أن » زائدة لارتفع الفعل ، ولـو كانت في معنى : وما لنا وكذا ؟ لكانت : وما لنـا والا نقاتل ؟ » ونسب اليه ما ورد فيـه حول زيادة الواو (٦٤) : « فامـا قول كثير :

مـاذا وذلـك ليس الا حيفـة واذا مضى شيء كأن لم يفعـل

حمل ابو الحسن هذا على الواو الزائدة ، حتى كأنه قـال : فاذا ذلك ، وليس الا حينه ، وانشد هـذا البيت نفسه ، وانشد معه بيتـا آخـر وهو قـول الشاعر :

فاذا وذلك يـا كبيشة لم يكـن الا كلمـة حالـم بخيـال

---

(٥٩) معاني القرآن ١٥٨/١

(٦٠) اعراب القرآن ٨٥٩

(٦١) البقرة آية ٢٤٦

(٦٢) الانعام آية ١١٩

(٦٣) معاني القرآن ٢٨٦/٢

(٦٤) اعراب القرآن ٨٨٩

وقال محمد بن يزيد : ان البصريين لا يرون زيادة الواو ، وقد كان في الواجب أن يستثني أبا الحسن » .

وهذا لابي الحسن الاخفش الاوسط الذي قال (٦٥) : وقد جاء في الشعر شيء يشبه ان تكون الواو زائدة فيه ، قال الشاعر :

فاذا وذلك يا كبيشة لم يكن الا كلمة حالم بخيال

فيشبه ان يكون يريد : فاذا ذلك لم يكن ، وقال بعضهم : فاضمر الخبر ، واضمار الخبر احسن في الآية ايضا ، وهو في الكلام كثير » .

وقد وقع صاحب كتاب « سيبويه امام النحاة في آثار الدارسين » في خلط واضح ، فنسب في فهرسه المخصص للاعلام في آخر الكتاب الى الاخفش الاكبر ما للاوسط ، فراى ان الاخفش المعني في الرواية التالية هو الاكبر لا الاوسط (٦٦) : « حدث الاخفش قال : حضرت مجلس الخليل ، فجاءه سيبويه ، فساله عن مسالة ، وفسرها له الخليل فلم افهم ما قالا فقمت وجلست له في الطريق ، فقلت : جعلني الله فداءك ، سالت الخليل عن مسالة فلم افهم ما رد عليك ، ففهمنيه ! فاخبرني بها ، فلم تقع لي ، ولا فهمتها فقلت له : لا تتوهم اني اسالك اعناتا ، فانني لم افهمها ولم تقع لي فقال لي : ويلك ، ومتى توهمت انك تعنتني ؟ ثم زجرني وتركني ومضى » .

ان المعني في هذه الرواية الاخفش الاوسط تلميذ سيبويه ولا يمكن ان يكون المعني فيها الاخفش الاكبر استاذ سيبويه اذ لا يستغرب من تلميذ ان يجلس لاستاذه في الطريق ، ولكنه ليس من المعقول ان يجلس الاستاذ لتلميذه ، هذا اولا . وثانيا : لا يتوقع ان تكون مخاطبة سيبويه لاستاذه هذه المخاطبة ولكنها منطقية ان تصدر من استاذ

---

(٦٥) معاني القرآن ٢/٤٥٧ ـ ٤٥٨

(٦٦) سيبويه امام الدارسين ص ١٢ وانظر فهرس هذا الكتاب ص ٢٢٨

لتلميذه . أما ثالثا فـان هذه الرواية لا تختلف في جوهرها عن تلك التي رويت في ترجمة الاخفش ونصهـا (٦٧) : « قال المبرد : الاخفش اكبر منا من سيبويه ، الا انـه لم يأخذ عن الخليل وكانا جميعا بالبان ، فجاء الاخفش ، فناظره بعـد ان برع ، فقال لـه الاخفش : انما انا شريك لاستفيد لا غير . قـال : اتراني اشك في هـذا » .

ولعـل من الخلط البين بين الاخفش هو مـا وقـع فيه محقق « المسكريات ، الـذي نسب في فهرسة المفصل للاعلم الى الاخفش الاوسط مـا للأصغر ، اذ نسب اليـه الانشاد حول عمل اولا في قـول ابـي علي الفارسي (٦٨) : « وانشدنا ابـو حسن الاخفش عن الاصـول عن ابي عبيـدة :

وكـم موطن لولاي طحت » .

ان المعني هنـا هو الاخفش الاصغر ، بدليل قـول الفارسي « وانشدنا » والفارسي المتوفى سنـة ٣٧٧ هـ تلميذ الاخفش الاصغر علي بن سليمان المتوفى سنة ٣١٥ هـ ، ولـن يكون المعني في هذه الرواية باي حال من الاحوال الاخفش الاوسط المتوفـى سنة ٢١٥ هـ فهنـاك مسافة زمنية بين الاثنين واسعة . هـذا اولا ، وثانيا : ان الاخفش المذكور في هـذه الرواية يروي عن الاحول والاحول كـان (٦٩) تلميذا لثعلب المتوفى سنـة ٢٩١ هـ يأخذ عنه ويروي ، والمعروف ان الاخفش الاصغر كـان تلميذا لثعلب فمن المناسب اينـا ان يروي احسن رواية عـن ثعلـب .

---

(٦٧) اخبار النحويين البصريين ص ٤٨ (في ترجمة الاخفش الاوسط) انباه ٤١/٢ (في ترجمة الاخفش الاوسط) .

(٦٨) المسائل العسكريات ص ٨٠ وانظر فهرس هذا الكتاب ص ١٨٤ .

(٦٩) انظر ترجمته في معجم الادباء ١٢٥/١٨ . تاريخ بغداد ١٨٥/٢ بغية الوعاة ٨١/١

وخلط المحقق ايضا فنسب الى الاخفش الاوسط رواية الفارسي :

« وانشدنا ابو الحسن الاخفش :

فسرت يهود واسلمت جيرانهـــا صمي لما فعلت يهود صمام » (٧٠)

والمعنى هذا ابو الحسن الاخفش الاصغر علي بن سليمان الذي تلمذ عليه الفارسي ، ومن المستبعد ان يعني الفارسي في قوله « انشدنا » الاخفش الاوسط الذي عاش في عصر غير عصر الفارسي .

واما لحن ما وقعت عليه من خلط بين الاخفش الاوسط والاصغر ذلك الذي وقع فيه محقق « اخبار ابي القاسم الزجاجي » وهو خلط كثير بيّن ، ذلك انه وضع في آخر هذا الكتاب فهرسا للأعلام جعل كل ما فيه ذكر « الاخفش » للاوسط سعيد بن سعدة ، وتجاهل (٧١) تماما الاخفش الاصغر علي بن سليمان ، ولم يذكره بين الاعلام مرة واحدة مع ان معظم ما ذكر فيه « الاخفش » ـ وهو كثير جدا ـ هو للثاني وليس الاول وذلك ان الزجاجي صاحب الكتاب كان تلميذ علي بن سليمان فكان يروي عنه عن ثعلب الامر الذي يؤكد ما اذهب اليه . وكان الزجاجي اذا اراد الاوسط ولم تكن قرينة سماه باسمه فقال (٧٢) : « الاخفش سعيد بن مسعدة » ، اما اذا كانت قرينة كأن يروي (٧٣) المازني عن الاخفش ، فكان يكتفي بذكر لقبه وحده .

---

(٧٠) المسائل العسكريات ص ١٢١ وانظر فهرس هذا الكتاب .

(٧١) انظر فهرست الكتاب ص ٢٩١ . وانظر الكتاب : ص ١٨، ٢١، ٢٢، ٣٠، ٣١، ٣٤، ٣٧، ٤٠، ٤١، ٤٢، ٤٧، ٤٨، ٤٩، ٥١، ٥٣، ٥٨، ٦٤، ٦٨، ٦٩، ٧٣ ٧٦ ٧٧ ٨٢ ٨٤ ٨٥ ٩١، ٩٤، ٩٧، ٩٩، ١٠٠ وما بعدها .

(٧٢) انظر ص ٨٨، ٢١٦

(٧٣) انظر ص ٢٤ ، ١٧٠

والملحوظ من خلال هذا البحث ان معظم خلط البلغين كان بين الاخفش الاوسط والاصغر ، ومرد هذا ـ في نظري ـ الى التشابه الاتين في لقب الاخفش ، واشتراكهما في كنية « ابي الحسن » ، والتي ان كليهما نحوي ، ومؤلف كتب في شروب اللغة المختلفة ، ولان القدماء كانوا يكتفون عند ذكر احدهما باللقب او الكنية او اللقب والكنية معا .

ومع ذلك فان قرائن عديدة يمكن ان تعتمد ، واساليب كثيرة يمكن ان تتخذ للتمييز بينهما ، وقد حاول الدكتور عبد الامير الورد صاحب « منهج الاخفش الاوسط » أن يعتمد مجموعة منها ليميز الاخفش الاوسط عن غيره من النحاة منها (٧٤) : تمييزه من البصريين او استثنائه منهم كقول القائل « قال الاخفش من البصريين » او « قال البصريون الا الاخفش » . ومنها : قرنه بأنداده او اساتذته او تلاميذه ، كقول القائل « قال ذلك سيبويه والاخفش » او « حكى ذلك المازني والاخفش » او قوله : « حكى ذلك الاخفش والمازني » ومنها : رفض من يعتمد الراي او اخذه به ، كقول القائل « قال ذلك الاخفش وخالفه المبرد » او قوله : « قال ذلك الاخفش وتابعه المبرد » . ومنها : ذكره مقرونا بكتاب له ، كقول القائل : « وقال الاخفش في الاوسط » .

ويمكن القول ايضا ان ابرز ما يميز الاخفش الاصغر من غيره من النحاة ان يروي تلاميذه عنه بقولهم « اخبرنا الاخفش » او « انبأنا الاخفش » ، او ان يروي هو عن اساتذته امثال ثعلب ، او من تلاميذه رووا عن تلاميذ الاخفش الاوسط او اقرانهم او من هم في مستواهم .

د. محمود حسني محمود

الجامعة الاردنية

---

(٧٤) انظر ص ٢٩

فهرس مصادر البحث

١ ـ اخبار النحويين البصريين ـ السيرافي ط ١٩٣٦

٢ ـ الاختيارين ـ الاخفش تحقيق د. فخر الدين قباوة دمشق ١٩٧٤ .

٣ ـ اعراب القرآن ـ المنسوب الى الزجاج تحقيق ابرهيم الابياري .

٤ ـ انباه الرواة ـ القفطي ـ تحقيق ابو الفضل ابرهيم ط اولى ١٩٥٢م .

٥ ـ البدر الطالع ـ الشوكاني ـ مطبعة السعادة ط الاولى ١٣٤٨هـ

٦ ـ بغية الوعاة ـ السيوطي ـ تحقيق ابو الفضل ابرهيم ـ مطبعة الحلبي ط اولى ١٩٦٥م.

٧ ـ تاج العروس ـ محب الدين الزبيدي .

٨ ـ تاريخ الادب العربي ـ بروكلمان ـ دار المعارف بمصر ـ الطبعة الثانية ١٩٦٨م.

٩ ـ تاريخ بغداد ـ البغدادي ـ مطبعة السعادة ١٩٣١م.

١٠ ـ الحروف ـ ابن السكيت ـ تحقيق د. رمضان عبد التواب ـ ط اولى ١٩٦٩م.

١١ ـ الخصائص ـ ابن جني ـ تحقيق محمد النجار ـ بيروت ـ الطبعة الثانية .

١٢ ـ دائرة المعارف ـ فؤاد افرام البستاني بيروت ١٩٦٧م .

١٣ ـ سيبويه امام النحاة ـ علي النجدي ناصف .

١٤ ـ سيبويه امام النحاة في آثار الدارسين ـ كوركيس عواد بغداد ١٩٧٨م .

١٥ ـ طبقات النحويين واللغويين ـ الزبيدي ـ تحقيق ابو الفضل ابرهيم ط اولى ١٩٥٤م.

١٦ ـ الفهرست ـ ابن النديم ـ مطبعة الاستقامة بالقاهرة .

١٧ ـ القوافي ـ الاخفش الاوسط تحقيق د. عزة حسن دمشق ١٩٧٠م .

١٨ ـ لسان الميزان ـ ابن حجر العسقلاني ـ مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية ط اولى ١٣٣٠هـ .

١٩ ـ مجالس ثعلب ـ تحقيق عبد السلام هارون ـ دار المعارف بمصر ـ ط الثانية ١٩٥٦م.

٢٠ ـ مجالس العلماء ـ الزجاجي ـ تحقيق عبد السلام هارون ـ الكويت ١٩٦٢م.

٢١ ـ مجلة مجمع اللغة العربية الاردني العدد المزدوج ١١ـ١٢ كانون الثاني حزيران ١٩٨١م.

٢٢ ـ المدارس النحوية د. شوقي ضيف دار المعارف بمصر ١٩٦٨ م .

٢٣ ـ مدرسة البصرة ـ د. عبدالرحمن السيد ط اولى ١٩٦٨م .

٢٤ ـ مراتب النحويين ـ ابو الطيب اللغوي ـ تحقيق ابو الفضل ابرهيم مطبعة نهضة مصر ١٩٥٥م .

٢٥ ـ المزهر ـ السيوطي ـ تحقيق علي البجاوي ـ دار احياء الكتب العربية .

٢٦ ـ المسائل العسكريات ـ ابو علي الفارسي ـ تحقيق اسماعيل عمايرة ـ ط ١٩٨١م .

٢٧ ـ معجم الادباء ـ ياقوت الحموي ـ مطبعة المأمون ـ الطبعة الاخيرة .

٢٨ ـ المعجم العربي ـ د. حسين نصار ـ ط ١٩٥٦م .

٢٩ ـ مفهوم الاخفش الاوسط في الدراسة النحوية ـ د. عبد الامير الورد ـ ط الاولى ١٩٧٥م.

٣٠ ـ نزهة الالباء ـ ابن الانباري .

٣١ ـ تحقيق ابو الفضل ابرهيم . دار نهضة مصر للطباعة والنشر .

٣٢ ـ تحقيق د. ابرهيم السامرائي ـ ط الثانية ١٩٧٠م .